بالتوجه الى نصف المسجد الحرام حتى يكون مقابل الكعبة وهذا خطاء لأنه
خلاف اقوال المفسرين وحيث ما كنتم قولوا وجوهكم شطره اى اينما كنتم
من الارض فى بر او بحر سهل او جبل فحولوا وجوهكم نحوه والأول خطاب
للنبى صلى الله عليه وآله واهل المدينة والثانى خطاب لجميع اهل الآفاق
ولو اقتصر على الاول لجاز ان يظن ان ذلك قبلتهم حسب فبين الله
سبحانه انه قبلة لجميع المصلين فى مشارق الارض ومغاربها وذكر
ابو اسحق الثعلبى فى كتابه عن ابن عباس انه قال البيت كله قبلة و
قبلة البيت الباب والبيت قبلة اهل المسجد والمسجد قبلة اهل الحرم
والحرم قبلة اهل الارض كلها وهذا موافق لما قال اصحابنا ان للحكم
قبلة من نأى عن الحرم من اهل الآفاق وقوله وان الذين اوتوا الكتاب
اراد به علماء اليهود وقيل علماء اليهود والنصارى ليعلمون انه للحق من
ربهم اى يعلمون ان تحويل القبلة الى الكعبة حق ما موديه من ربهم وانما
علموا ذلك لأنه كان فى بشارة الانبياء لهم ان يكون نبى من صفاته
كذا وكذا وكان فى صفاته انه يصلى الى القبلتين وروى انهم قالوا
عند التحويل ما امرت بهذا يا محمد وانما هو شئ تبتدعه من تلقاء
نفسك مرة الى هنا ومرة الى هنا فانزل الله تعالى هذه الآية وبين
انهم يعلمون خلاف ما يقولون وما الله بغافل عما تعملون اى ليس الله
بغافل عما يعمل هؤلاء من كتمان صفة محمد صلى الله عليه واله والمعاندة
ودل هذا على ان المراد بالآية قوم معدودون يجوز على مثلهم التواطؤ
على الكذب وعلى ان يظهروا خلاف ما يبطنون فاما الجم العظيم فلا
يجوز عليهم التواطؤ على الكذب ولا يأتى فيهم كلهم ان يظهروا خلاف

ما يعلمون

ما يعلمون وهذه الآية ناسخة لفرض التوجه الى بيت المقدس وقال
ابن عباس اول ما نسخ من القرآن فيما ذكرنا شأن القبلة وقال قتادة
نسخت هذه الآية ما قبلها وقال جعفر بن مبشر هذا مما نسخ من السنة
بالقرآن وهذا هو الاقوى لانه ليس فى القرآن ما يدل على التعبد بالتوجه
الى بيت المقدس ومن قال انها نسخت قوله فاينما تولوا فثم وجه الله
فان هذه الآية عندنا مخصوصة بالتوافل فى حال السفر روى ذلك
عن ابى جعفر وابى عبد الله عليه السلام وليست بمنسوخة واختلف
الناس فى صلوة النبى صلى الله عليه واله الى بيت المقدس فقال قوم كان
عليه السلام يصلى بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة امره الله تعالى
ان يصلى الى بيت المقدس ثم اعيد الى الكعبة وقال قوم كان يصلى بمكة
الى بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينها ولا يصلى فى
غير المكان الذى يمكن هذا فيه وقال قوم بل كان يصلى بمكة وبعد قدمه
بالمدينة الى بيت المقدس ولم يكن عليه ان يجعل الكعبة بينه وبينها ثم
ثم امره الله تعالى بالتوجه الى الكعبة ولئن اتيت الذين
اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع
قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت
اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين الله
اختلف النحويون فى ان لئن لم اجيبت بجواب لو فقال
الاخفش اجيبت بجواب لو لان الماضى ولينا كما يلى لو فدخلت
كل واحدة منهما على صاحبتها قال سبحانه ولئن ارسلنا ريحا
فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون لئن جرى لو وقال وانتم امنتم